صورة الزهرة فى إبجراما الحب الهللينستية(*)

المقدمة

الزهور والنباتات بانواعها منذ القدم وفى كافة أنحاء العالم تشكل دور هام فى حياة الإنسان وثقافته حيث ظهرت مصاحبه للتقاليد الخاصة مثل إحتفالات الزواج والجنائز والإحتفالات الدينية كذلك ظهرت فى الأدب تحمل أشكال مختلفة من الصور مثل الكناية والإستعارة والرمز والخيال سواء كان تجسيدها كبشر أو استخدامها كنبات.

حيث ينظر الإنسان لجمال الزهور ويستمتع بعطرها، فأغلب الكُتاب والشعراء قد ربطوا بين الزهور والنساء وهذه الفكرة مسيطرة على معظم أعمالهم تلك الزهور التى يمكن أن تمثل الأشخاص بمراتبهم الإجتماعية وفى تفاعلاتهم مع الأخرين وتوجيهاتهم الدينية، النفسية، العاطفة والأفكار التى أرادوا التعبير عنها.

استخدمت الزهور منذ القدم للتعبير عن معانى الحب والوفاء والمشاعر حيث لها القدرة على إلهام الشعراء وتزويد شعرهم بالعديد من الصور الرقيقة المستوحاة من جمال الأزهار فعبروا من خلالها عن وصف مظاهر الجمال فى أشعارهم التى دلت على حسهم المرهف فالزهور عالم ينطق بأجمل المشاعر والأحاسيس حيث لها لغة تعبيرية خاصة حتى إذا غاب الكلام فهى كافية أن تحمل أجمل المعانى وأتخذ شعراء العصر الهللينستى العديد من أنواع الزهور المختلفة فى قصائدهم العاطفية كى تنطق بما يكمن داخل القلوب وتحمل كلماتهم إلى الأحباء.

وتنوع الشعراء فى استخدام الزهور والعديد من أكاليلها للتعبير عن الكثير من الرموز المختلفة فمنهم من قارن محبوبته بالزهور بل وجعلها تفوق جمال الأزهار ومنهم من استخدم الزهور كوسيلة للتقرب إلى الحبيب واسترضاءه وأخر استخدمها كمواساة على فراق حبيبه و هذا البحث يعرض المعانى والرموز المختلفة التى استخدمها الشعراء من خلال عالم الزهور للتعبير عن مشاعر الحب، فكان للزهور وعلاقتها بقصائد الحب نصيب كبير عند شعراء العصر الهللينستى.

وسوف يتطرق هذا البحث إلى نماذج من شعراء هذا العصر بمراحله المختلفة بدء من الفترة المبكرة مروراً بالفترة المتوسطة وصولاً الفترة المتأخرة.

صورة الزهرة عند شعراء الفترة المبكرة:

الشاعر أسكليبياديس من ساموس Ασκληπιάδης ' :

هو أحد أكثر المؤلفين الرائعين فى هذه الفترة وعرف بتنوع الموضوعات فى قصائده، له ثلاثة وأربعون إبجرامه وأغلبهم قصائد عاطفية والتى كان يظهر من خلالها بشكل دائم خاضع للحب(١) أطلق عليه مليأجروس فى إكليله زهرة الرياح (شقائق النعمان)(٢)، وفى إحدى قصائده يتحدث عن محبوبته ديديمى البراقة مثل الورود:

(*) البحث جزء من رسالة ماجستير بعنوان "صورة الزهرة ودلالتها فى الإبجراما الهللينستية" مقدمه من الباحثة/ الشيماء أحمد خليل يوسف. تحت إشراف د/ السيد مصطفى عجاج ، د/ حاتم محمد ياسين.

(١) أوفيليا فايز رياض، علاء صابر، الأدب السكندرى، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٨ ، ص ١٩٧.

(2) Meleager I = A. P. IV. I. 46.

† Τῷ θαλλῷ † Διδύμη με συνήρπασεν, ὤμοι ἐγω δέ
τήκομαι ὡς κηρὸς παὰρ πυρὶ κάλλος ὁρῶν.
εἰ δὲ μέλαινα, τί τοῦτο; καὶ ἄνθρακες· ἀλλ᾽ ὅτι κείνους
θάλψωμεν λάμπουσ᾽ ὡς ῥόδεαι κάλυκες.
Asclepiades V = A. P. V. 210.[1]

"ويحى لقد سلبت ديديمى لبى †بنضارتها†، فما أن يقع بصرى عليها حتى أنصهر مثل أنصهار الشمع عند أقترابه من اللهب إن كانت سمراء فماذا يضيرنى؟ إن جمرات الفحم أيضا كذلك لكنها حينما تضرم فيها النار تتوهج مثل [أكمام الورود][٢]."[٣]

هذه القصيدة تتحدث عن إمرأة يونانية ذات بشرة سمراء ولكن على الأرجح أنها إمراة سمراء من أثيوبيا أو مصر حيث أن بطليموس الثانى فيلادلفوس كان لديه محظية من أفريقيا تدعى ديديمى ولكن شك بعض العلماء فى أن أسكليبيادس يمكن أن يخاطر بإظهار حبه ورغبته فى محظية حاكمه ومن المحتمل أن أسكليبيادس كان قد جاوز الخمسين من العمر عندما وصل فيلادلفوس إلى السلطة فربما كتبها الشاعر لأى فتاة أخرى تحمل نفس أسم محظية بطليموس.[٤]

الإبجرامة تتحدث عن ديديمى السمراء البشرة ولكنها مع ذلك جذابة وفى بداية السطر الأول توجد فجوة *lacuna* والتى أستكملت Τῷ θαλλῷ (عند كل من جاو/ بيدج، باتون)، فالكلمة Τῷ θαλλῷ تعنى *flore pulchritudinis* أى بزهرة جمالها.

وأقترح *Wilamowitz* أن تكون τὠφθαλμῷ Διδύμης ... συνήρπασαν عين ديديمى، *Boissonade* قال τῷ θαλερῷ والتى تعنى برعمها أو زهرتها. و Scaliger كتب ἡ θαλλὼ Διδύμης زهرة أو برعم ديديمى والتى توحى بالنضارة.[٥] وظهرت θαλλὸν فى محاورة لأفلاطون تشير إلى النبتة أو الغصن الصغير.[٦]

والإشارة إلى أفلاطون لم تُؤخذ بالعناية التى تستحقها ربما لأن *Paton* وضع الترجمة فى *Loeb* والتى جاءت تعنى سحرتنى بنضارتها (by the branch she moved me).[٧]

---

(1) Gow/ Page, *the Greek Anthology, Hellenistic Epigrams*, vol. I, Cambridge, 1956, p. 45.

(٢) أكمام الورود: هى غطاء أو كساء للورود عندما تتفتح تظهر منها الورود النضرة.

(٣) ترجمة: محمد حمدى إبراهيم، الأدب السكندرى، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٥، ص ٤٩.

(4) G. Fain, *Ancient Greek Epigrams*, California, 2010. p. 88- 89.

(5) Gow/ Page, vol. II, p. 120.

(6) Plato Phaedrus, 230 D. 7.

(7) W. Paton, *The Greek Anthology*, LCL, vol. I, London, 1953. p. 233.

ولكن السبب الأرجح أن الترجمة توضع بواسطة مؤيدين لصحتها وأن θαλλῷ هى الأفضل والأصح وما زال لا يوجد طريقة صحيحة لترجمة الكلمة ولكن بالأحرى تشير إلى أن جمالها به سحر وجاذبية فالكلمة θαλλός[١] هى مصطلح خاص بنضارة الزهور اليانعة ويجب أيضاً الإشارة إلى هذه الملاحظة فى البيت الثالث حين يمدح سمرة محبوبته عندما يشبهها بجمرات الفحم المشتعلة والتى تصبح كالورود والفعل θάλπω (يشعل) به إشارة للغزل الصريح.[٢]

وصف الشاعر بمهارة المرأة عندما تُداعب تتوهج بشرتها وتميل لإحمرار الورود وتصبح مثل البرعم النضر.[٣] حيث ربط الشعراء بين جمال الورود وجمال المرأة، فالورود الحمراء تشبه فى إحمرار لونها الفتاة الحسناء الحسناء التى يغازلها الشاعر فيحمر وجهها خجلاً.[٤]

أظهر اسكلييبياديس صورة من الجمال النابع من البشرة السمراء على عكس ما نجد الشعراء يتغنون بجمال البشرة البيضاء للمحبوبة مثلما ذكر ديوسكوريدس فى إحدى قصائده γλαγόεντες [٥] واستخدم الشاعر لون اللبن للإشارة إلى لون بشرة محبوبته، كما أن اسكلييبياديس نفسه تحدث عن البشرة البيضاء فى القصيدة رقم ١٩٤: λύγδου γλυπτήν "كأنها نحت من الرخام الأبيض"[٦] حيث يصور بشرة محبوبته البيضاء وكأنها منحوته من الرخام الأبيض.

ولكن أراد اسكلييبياديس هنا أن يخرج عن هذا النطاق التقليدى فى وصف البشرة البيضاء عندما أشاد بسمار محبوبته الداكن كجمارات الفحم ورغم ذلك فهى لها سحرها الخاص فعندما تشتعل جمرات الفحم تتوهج وتلمع كذلك محبوبته عندما تلمع بشرتها ربما من حمرة الخجل تتوهج مثل الورود النضرة اللامعة ῥόδεαι κάλυκες لذلك وصفها بالنضارة Τῷ θαλλῷ، فليس كل الورود ألوانها فاتحة فهناك ورود داكنة اللون مثل زهرة البنفسج ولكن ذلك لا يعنى أن ليس لها سحر وجمال براق فيرى الشاعر أن البشرة السمراء لمحبوبته هى أحد مظاهر جمالها.

واستخدمت الزهور للزينة وصناعة الأكاليل والتيجان وكانت النساء عادة ترتدى الأكاليل على رؤوسهن وتجمل بها الملابس وأيضاً استخدمن عطورها أما الرجال يرتدون أكاليل الزهور عند الأنتصارات فى الحروب والألعاب الرياضية.[٧] ولكن أسكلييبياديس استخدم فى إحدى قصائده الإكليل بشكل مختلف حيث نجد أن سقوط إكليل الزهور الزهور من رأس المحب أفشى سره أنه يتألم من جرح الحب وفراق المحبوب:

Οἶνος ἔρωτος ἔλεγχος· ἐρᾶν ἀρνεύμενον ἡμῖν
ἤτασαν αἱ πολλαὶ Νικαγόρην προπόσεις·
καὶ γὰρ ἐδάκρυσεν καὶ ἐνύστασε καὶ τι κατηφές

---

(١) θάλος = θαλλός نبتة أو فرع صغير أو غصين أو برعم من الفعل θάλλω الذى يعنى ينبت أو يتبرعم أو يزهر.

(2) Mckay. K. J, "A Hellenistic Medley", *Mnemosyne,* Vol. 21, 1968, p. 172-173.

(3) Fain, *Ancient Greek Epigrams*, p. 89.

(٤) عوض على الغبارى، شعر الطبيعة فى الأدب المصرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩، ص ٤٠.

(5) Dioscorides I = A. P. V. 56. 5.

(6) Asclepiades XXXIV = A. P. V. 194.

(7) G. Jack, *The Culture of Flowers*, Cambridge, 1994, p. 41.

صورة الزهرة فى إبجراما الحب الهللينستية

ἔβλεπε , χὠ σφιγχθεὶς οὐκ ἔμενε στέφανος.

Asclepiades XVIII = A. P. XII. 135 .[1]

"الخمر إختبار الحب، عندما أنكر لنا نيكاجوراس أنه أحب، والشراب الكثير يدينه بذلك، ولأنه أنفجر فى البكاء، وأحنى رأسه ونظر بضيق ولم يستقر الإكليل المربوط فى مكانه".[٢]

إن إبجراما الحب جاءت كتقليد للقصائد والأغنيات القصيرة التى كانت تلقى فى الحفلات والمآدب فهنا علاقة القصيدة بالمآدب تكون واضحة فى ذكر العديد من الأنخاب والإكليل المربوط على الرأس حيث ظهرت موضوعات الحب والنبيذ وآلم العاطفة والفراق بشكل متنوع فى الإبجراما ويعتبر أسكليبياديس أول شعراء العصر الهللينستى فى كتابة هذه القصائد.[٣]

تتحدث القصيدة عن نيكاجوراس الذى يتضح من سلوكه فى إحدى حفلات الشراب أنه عاشق ويتألم بسبب الحب ويعطى المحب مشهد من الألم عندما يميل برأسه إلى الأمام فى حزن ويسقط الإكليل من فوق رأسه وتسبب فى لفت أنظار الجميع إليه.[٤]

يدور محور القصيدة حول النبيذ Οἶνος الذى جاء ذكره فى مقدمة القصيدة وعن سقوط الإكليل στέφανος الذى أنهى الشاعر به القصيدة والإثنان هما الأسباب التى أفشت سر نيكاجوراس أنه محب حزين لذلك جاء موقع النبيذ والإكليل فى القصيدة مؤكد وأهم من مكان نيكاجوراس Νικαγόρην المحب نفسه الذى ذكر فى منتصف البيت الثانى.

وفى السطر الثالث نجد الفعل ἐνύστασε يعنى يحنى رأسه جاءت كإشارة إلى الحزن[٥] والتى نتج عنها سقوط الإكليل.

ونجد التطرق لنفس الفكرة عن شعراء الفترة المتوسطة وخاصة عند الشاعر كاليماخوس فلديه قصيده تحمل نفس شكل قصيدة أسكليبياديس رغم اختلاف الفترتين، فمن الأرجح أن يكون كاليماخوس قرأ أبيات أسكليبياديس قبل أن يكتب قصيدته.

---

(1) Gow/ Page, Vol. 1, p. 49.

(٢) أستفادت الباحثة من ترجمة المشرف على الرسالة دكتور السيد مصطفى البيومى عجاج، العناصر السكندرية فى شعر كاتوللوس، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ ، ص٣٢ .

(3) Fain, *Ancient Greek Epigrams* , p. 18 .

(4) D. Garrison, Mild Frenzy, *Reading of the Hellenistic love Epigrams*, Frenz Steiner Verlag gmbh. Wiesbaden, 1978, P. 59.

(5) Gow/ Page, vol. II, P. 128–129.

صورة الزهرة عند شعراء الفترة المتوسطة

الشاعر كاليماخوس القورينى Καλλίμαχος:

جاء من عائلة نبيلة من قورينى درس فى الإسكندرية وهو الأكثر تأثيراً على علماء وشعراء الإسكندرية، كان مؤلف ومبدع فى كل من الشعر والنثر وله ثلاثة وستون إبجرامه(١)، وفى إكليل مليأجروس خصص لكاليماخوس توت نبات الآس الحلو الملئ بالعسل الحامض وفى كل عمل من أعماله نكهة لاذعة مُرة أحياناً ورائعة أحياناً أخرى.(٢)

لم ينافس الشعراء بعضهم وجهاً إلى وجه ولكن كل منهم كان على وعى وإدراك بشعر الآخر مثلما نجد هنا فى قصيدة كاليماخوس التى أستندت على قصيدة أسكليبياديس السابقة فبالرغم من أن كاليماخوس يستخدم كلمات مختلفة عن أسكليبياديس إلا أنه يقدم نفس الموضوع.

فإبجرامه كاليماخوس *A.P.XII. 134* مستوحاة من قصيدة أسكليبياديس حيث توضح أيضاً العاشق الذى يريد أن يخفى قلبه المجروح ويتنهد بألم وضيق وهى أيضاً تحدث فى إحدى الحفلات(٣) فقال كاليماخوس:

Ἕλκος ἔχων ὁ ξεῖνος ἐλάνθανεν· ὡς ἀνιηρόν
πνεῦμα διὰ στηθέων- εἶδες; - ἀνηγάγετο,
τὸ τρίτον ἡνίκ᾽ ἔπινε, τὰ δὲ ῥόδα φυλλοβολεῦντα
τὠνδρὸς ἀπὸ στεφάνων πάντ᾽ ἐγένοντο χαμαί .
ὤπτηται μέγα δή τι. μὰ δαίμονας, οὐκ ἀπὸ ῥυσμοῦ
εἰκάζω, φωρὸς δ᾽ ἴχνια φὼρ ἔμαθον.

Callimachus XIII = A. P. XII. 134.(4)

"كتم الغريب جرحه فلم ندرى، هل أدركت زفرته الحارة يطلقها من أعماق صدره؟ وما أن تجرع كأسه الثالثة حتى جاش صدره، وأجهش بالبكاء، وأخذت الزهور تقذف بتلاتها(٥) من الأكاليل إلى الأرض، إنه غارق فى بحر الغرام الحارق، وحق الألهه" ولايخفى حدسى إذ أنى لص يعرف أثار اللصوص".(٦)

فى قصيدة أسكليبياديس ذكر الشاعر اسم المحب الحزين وهو نيكاجوراس أما هنا عند كاليماخوس قال أنه شخص غريب دون ذكر اسمه ولكن علامات الحزن التى بدت على كليهما جعلت الحاضرين يدركون أنهم يتألمون من جراح الحب.

---

(1) H. Yassin, *Tipologia del Epigrama Funerario Helenistio*, Murcia, 1999, p. 50.

(2) Meleager I = A.P. IV. I. 22.

(3) Fain, *Ancient Greek Epigrams*, p. 19.

(4) Gow/ Page, vol. I, p. 60.

(٥) بتلات الورود: أوراقها التتويجية.

(٦) ترجمة عبد الله المسلمى، كاليماخوس القورينى، ١٩٧٣، ص ٢٥٩، وقارن أيضاً السيد مصطفى عجاج، المرجع السابق، ص٣٣.

والقصيدتان بهما عدة تشابهات مع تفاوت الأعراض الطبيعية للحب ولكن كلا الشاعرين استخدما الإكليل المنهار المتساقط والشراب للإفشاء عن سر المحب.(١)

الإشارة لشراب ثلاثة كؤوس فى الحفل الأولى تكون إلى زيوس الأوليمبى والثانية إلى الأبطال والثالثة إلى زيوس المنقذ مع زفراته تربطهم علاقة خاصة بمحنته.(٢)

فربما أراد شرب هذه الكؤوس لتساعده على التخلص من محنته، فأراد الشاعر أن تخون المحب مشاعره بعد أخر الثلاثة طقوس وهى الطقوس التى كان المشاركون فى المآدب يبدأون بها إحتفالهم أى إراقة ثلاثة كؤوس الأولى Olympian Zeus ، والثانية Heroes ، والثالثة Zeus Soter.(٣)

أوضح أسكليبياديس أن نيكاجوراس أفصح عن حزنه بعد أن شرب النبيذ بشكل متزايد دون تحديد عدد الكؤوس التى تناولها ظهر تأثيرها عليه وإنحنى برأسه إلى أسفل وسقط الإكليل من رأسه أما عند كاليماخوس فنجد أن المحب أفصح عن نفسه بعد أن شرب الكأس الثالثة و أشار إلى الحزن عندما ذكر الزهور التى تقذف أوراقها على الأرض:

..... , τὰ δὲ ῥόδα φυλλοβολεῦντα
τὠνδρὸς ἀπὸ στεφάνων πάντ᾽ ἐγένοντο χαμαί .

كما أن سقوط الإكليل من رأسه أشار إلى أنه عاشق.(٤)

فالنبيذ مرآة الروح والشراب بكثرة هو الذى يكشف عن حقيقة كل الأشياء وكان للحب والنبيذ نصيب كبير فى شعر المآدب لأعتبارهم علاج للآلام بشكل عام، فالشخص الذى يكثر فى شراب النبيذ يفقد السيطرة على أفكاره وأقواله وهذه الفكرة كان متعارف عليها عند الشعراء مثل Theognis: e.g , 1.479 – 480.(٥)

ويأتى بشكل واضح فى الزوج الثانى من الأبيات وصف للورود التى تسقط أوراقها على الأرض رمزاً إلى فقدان الحب والجرح الناتج عنه ويحتوى الزوج الثالث من الأبيات على ثلاثة صور الأولى تصف الحب وكأنه نار تحرق المحبين δαίμονας والثانية تأتى عبارة غير واضحة بدقة ويبدو أنها جاءت من الرقص (القفز) المتمثل فى الكلمة ῥυσμοῦ والثالثة الخاصة بالجريمة لذكر اللصوصية φωρὸς والتى لاتظهر كثيراً فى اليونانية.(٦)

فمن الممكن أن يكون كاليماخوس ربط فى قصيدته بين الفشل فى الحب واللصوصية حيث أراد الرجل أن يخفى حبه عن أنظار الحاضرين ولكنه لم يستطع ذلك مثل اللص الذى يريد أن يخفى سرقته ولكنه يفشل.

---

(1) Fantuzzi. M., Hunter. R, Tradition and Innovation in Hellenistic Poetry, Cambridge University Press, 2005, p. 339.

(2) Gow/ Page, p. 167.

(3) Fantuzzi. M., Hunter. R, p. 339.

(4) Gow/ Page, II, p. 128–129.

(5) Fantuzzi. M., Hunter. R, p. 348.

(6) J. Ferguson, "The Epigrams of Callimachus", *G&R*, 1970, p. 72-73.

التشابه كبير بين القصيدتين مما يجعلنا نتوقع أن الجملة الأخيرة من قصيدة كاليماخوس تعلن عن إتصال النص مع قصيدة أسكليبياديس حيث يعرف العاشق عن طريق التتبع والذى أشار له كاليماخوس بالكلمة ῥυσμοῦ وهذه الكلمة تعطى تعبير تقنى فى حفل الموسيقى وتدل هنا على التعقب لأحداث الحياة الإنسانية بشكل عام لتجنب الأخطاء والفشل.(١)

فى القصيدتين نرى أن الشاعر يربط بين صورة المحب الحزين الذى يتألم من جرح حبه وصورة الزهور التى تسقط على الأرض وكأنها تشارك ذلك المحب فى حزنه ولم تستطع الإستقرار فى مكانها فوق رأسه.

أورد الشاعران علامات الحزن التى أفصحت عن المحب:

فعند أسكليبياديس: ذكر الشراب الكثير αἱ πολλαὶ .... προπόσεις .... وكذلك الفعل الذى يدل على البكاء ἐδάκρυσεν والإنحناء ἐνύστασε وأيضاً النظر بحزن وضيق κατηφὲς ἔβλεπε... وأخيراً سقوط الإكليل οὐκ ἔμενε στέφανος .

أما عند كاليماخوس: الزفرات الحاره πνεῦμα ἀνιηρόν، الزهور التى تقذف أوراقها τὰ δὲ ῥόδα φυλλοβολεῦντα.

فنجد أن قصيدة كاليماخوس تشبه كثيراً قصيدة أسكليبياديس فالعاشق فى كلا القصيدتين يحاول أن يخفى ألمه ولكنه يفشل كما أن تركيبة القصيدتان مماثلة حيث تشمل عبارات قصيرة ولكن من الممكن قول أن قصيدة كاليماخوس أكثر حرية فى التعبير ونهايتها أيضاً تكون أكثر أهمية.(٢)

وهنا تفوق كاليماخوس على أستاذه فى المواضع التى يستعيد فيها أقواله حيث نرى عن أسكليبياديس حدة التعبير وجفافه أما عند كاليماخوس نجد إفصاحاً عن تناثر الورود حول المنتصر فى المسابقات الرياضية والتناقض بين ضعف المحب وقوة الرياضى.(٣)

ثم ننتقل بعد ذلك للفترة المتأخرة والتى أبرزت أهم شعراء إبجراما الحب فى هذه الفترة وهو مليأجروس الذى ولع بمقارنة جمال محظياته بجمال الزهور.

صورة الزهرة عند شعراء الفترة المتأخرة

الشاعر مليأجروس السورى Μελεάγρος:

أشهر شعراء إبجرامه الحب هو مليأجروس ابن *Eucrates* هو شاعر وفليسوف ولد فى جادارا وتعلم فى صور *Tyre* وقضى أخر حياته فى جزيرة كوس *Cos* كان أستاذ فى فن الإبجرامه شهرة مليأجروس تكمن فى المائة أربعة وثلاثون إبجرامه التى كتبهم ومعظمها عاطفية وأكبرهم التى تدعى إكليل مليأجروس IV. 1.(٤)

---

(1) Fantuzzi. M., Hunter. R, p. 340.

(2) G. Fain, *Catullus, Callimachus, and Martial: Composition in Greek and Latin Epigram,* 2005, p. 105.

(٣) عبد الله المسلمى، كاليماخوس القورينى، ص ٢٢٤.

(٤) حمدى إبراهيم، الأدب السكندرى، ص ٢٤٤.

صورة الزهرة فى إبجراما الحب الهللينستية

هناك قصيدة للشاعر مليأجروس التى قارن بها جمال محبوبته بجمال الزهور حيث برع مليأجروس فى استخدام ذلك الأسلوب فى العديد من الإبجراما وهو مقارنة محبوباته بأجمل الزهور واتخذها لإظهار رشاقة التعبير ورقة الكلمات الأخاذة وأنطلق يعدد أنواع الزهور، ألوانها وصفاتها، فجمالها يعلمنا كم هى قريبة من النفس الإنسانية ولأن مليأجروس كان يعلم أن الزهور هى عالم ينطق بأجمل المشاعر والأحاسيس وأن لها لغة تعبير خاصة بها تربعت على عرش المشاعر لذلك أتخذ منها الوسيلة الأفضل للتعبير عن جمال محبوباته حين قال:

Ἤδη λευκόιον θάλλει, θάλλει δὲ φίλομβρος
νάρκισσος, θάλλει δ᾽ οὐρεσίφοιτα κρίνα
ἤδη δ᾽ ἡ φιλέραστος, ἐν ἄνθεσιν ὥριμον ἄνθος,
Ζηνοφίλα Πειθοῦς ἡδὺ τέθηλε ῥόδον
λειμῶνες, τί μάταια κόμαις ἔπι φαιδρὰ γελᾶτε;
ἁ γὰρ παῖς κρέσσων ἀδυπνόων στεφάνων.
Meleager XXXI = A. P. V. 144.[1]

"هاهى زهرة البنفسج البيضاء يانعة والنرجس المشتاقة للغيث وقد تفتحت أكمامها وهاهى الزنبق ربيبة الربوات وقد تألقت وهاهى، زينوفيلا، هاوية العشق والزهرة النضرة بين الزهور وردة الإغراء الحلوة وقد أينعت، أيتها المروج لم تضحكين اختيالاً بجدائلك؟ فضحكاتك دون جدوى فلقد تفوقت فتاتى على أكاليلك التى تتضوع عطراً."[٢]

يظهر فى القصيدة حشد متنوع من الزهور قارنها مليأجروس بمحبوبته زينوفيلا التى يصفها بوردة الإغراء الحلوة والتى تفوق جمالها على زهور كل الأكاليل التى توجد فى المروج وكأنها زهرة تفوح بكل العطور وكل ألوان الزهور فقبل أن يذكر أسم المحبوبة ويتحدث عنها مهد لها بذكر الزهور كى يدمج محبوبته بين الزهور النضرة كأنها واحدة منهم.

ويتوسع الشاعر فى موضوع المنافسة بين المحبوبة والزهور فبعد ذكر قائمة الأزهار، توجها مليأجروس كزهرة بين الزهور ويخاطب المروج ويسألهم لماذا يضحكون هكذا فخورين بخصلاتهم ونجد أن الفعل γελᾶτε والكلمة κόμαις كلاهما يصفان الإنسان حيث استخدمها مليأجروس فى تجسيده للمروج ومخاطبتها كإنسان (تشخيص).

إن قائمة الأربع زهور تذكرنا بقائمة النباتات التى تمثل الشعراء فى مقدمة الإكليل حيث الزنابق κρίνα تأتى فى المقدمة وثانياً λειρία والتى تعنى أيضاً زنابق وثالثاً الورود ورابعاً النرجس وتأتى زهور البنفسج الأبيض فى نهاية مقدمة الإكليل بينما تكون فى مقدمة هذه الإبجرامة والوردة فى مقدمة الإكليل ترمز إلى سافو فربما تتساوى عند الشاعر مع زينوفيلا.[٣]

جاءت هذه الإشارة للربط بين سافو وزينوفيلا فى هذه القصيدة لأن مليأجروس خصص لسافو من الزهور الورود فى مقدمة إكليله فى السطر السادس:

---

(1) Gow/ Page, vol. I, p. 224-225.

(٢) ترجمة حمدى إبراهيم، الأدب السكندرى، ص ٢٤٧.

(3) K. Gutzwiler, " The Poetics of Editing in Meleager's Garland" *TAPA,* 1997, p. 182.

صورة الزهرة فى إبجراما الحب الهللينستية

....., καὶ Σαπφοῦς βαιὰ μὲν ἄλλα ῥόδα

Meleager A. P. IV. 1. 6.

"ولكن القليل من ورود سافو"

ولكن الشاعر فى مقدمة الإكليل كان يقصد سافو كشاعرة والورود هى قصائدها التى أخذ بعضاً منها لجدل إكليله أما هنا فشبه زينوفيلا بالوردة لأنها محبوبته فهى إذا لا تتساوى مع سافو أو ربما أنه أراد الإشارة إلى زينوفيلا كملهمة له.

ذكر الشاعر اسم محبوبته زينوفيلا فى بداية السطر الرابع وأشار إليها بثلاثة صور الأولى فى السطر الثالث φιλέραστος أى (هاوية العشق) والثانية فى نهاية السطر الرابع ῥόδον ' أى (وردة) والثالثة فى البيت الأخير بكلمة παῖς والتى تعنى (بنت) وهذه الإشارة دليل على أن زينوفيلا فتاة شابه فى أوج جمالها.

غالباً ما نجد أن الزهرة أرتبطت بالحب بشكل مباشر وزينوفيلا فى هذه الإبجرامة وصفها الشاعر بالصفة φιλέραστος ومعرفة بأداة التعريف ἡ مثل الوردة فى الإبجرامة ١٣٦ من الكتاب الخامس والتى وصفها بالصفة φιλέραστον أى هاوية العشق أو صفية العشاق عندما كانت تذكره بهليودورا وتأتى كرمز لشخصية تبكى لأنها ترى الفتاة بين ذراعى شخص أخر وفى القصيدتان تشخيص لمظاهر الطبيعة ومخاطبتها كإنسان.(١)

يأتى أسم المحبوبة زينوفيلا Ζηνοφίλα فى مقدمة البيت الرابع وفى نهاية نفس البيت يأتى البدل الخاص بها ῥόδον ' أى الوردة والإثنان فى موقع مؤكد من القصيدة يتساوى مع أهمية موقع الزهور التى ذكرها الشاعر تأكيداً على التنافس بين محبوبته والزهور.

ذكر الشاعر فى قصيدته العديد من أنواع الزهور مثل λευκόιον.(٢) وكذلك النرجس νάρκισσον زهرة النرجس التى لها قلب أصفر اللون كالذهب وحوله أوراق مشرقة ناصعة البياض عندما يبللها الندى فبدى كأنه يسكب الدموع كوجه مشرق يشع منه النور وكأنه إنسان ضاحك باكى.(٣)

---

(1) Gutzwiler, *Meleager's Garland*, p. 183.

(٢) الاسم λευκόιον والذى يعنى زهرة البنفسج و تعود هذه الزهرة إلى إيو *Io* ابنة إله النهر إناخوس *Inachus* والتى كانت كاهنة فى معبد هيرا زوجة زيوس كبير الآلهه والذى شغف بها حباً وعندما شعرت هيرا بخيانة زوجها رأى زيوس أن يبعد إيو عن إنتقام زوجته فحولها إلى بقرة بيضاء.

ومن المعروف أن ربة القمر عُبدت عند أهل أرجوس تحت اسم إيو فعندما أنجب إناخوس ابنه أطلق عليها إيو نسبة للقمر وكانت البقرة إيو تغير لونها مثل القمر إلى ثلاثة ألوان الأبيض عندما يكون القمر غير مكتمل والأحمر للبدر والأسود عندما يختفى القمر، ولكن الأحمر استبدل إلى البنفسج لأن *Ion* اليونانية أطلقت على زهور البنفسج .

R. Graves, *the Greek Myths*, Vol. I, England, 1960, p. 190-192.

وترجع أيضاً زهرة البنفسج إلى *Iamos* ابن أبوللون من الحورية *Euadne* ابنة بوسيدون التى تركت الطفل فى البرارى بين الزهور الجبلية خمسة أيام مندثر بين أزهار البنفسج التى تعكس ظلالها الأرجوانية عليه كما ان أمه أطلقت من قبل على نفسها ذات الخصلات البنفسيجية ويقال أن الثعابين غذت هذا الطفل بنوع من السموم يدعى *Ios* لم يكن هذا السم ضار بل كان له مفيداً فكان مثل العسل.

C. Ruck, "On the Sacred Names of Iamos and Ion: Ethnobotanical Referents in the Hero's Parentage", *CJ*, Vol. 71, 1976, p. 237.

(٣) جمال الدين الرمادى، فصول مقارنة بين أدبى الشرق والغرب، ١٩٨٠، ص ٧٤.

والنرجس[١] هى الزهرة التى تعنى فى لغة الزهور (نبكى لرؤيتك تغيب بعيداً)، وهى أيضاً الزهور المتألقة التى أنبتتها جايا تلبية لرجاء هاديس ليكون حيلة لإغواء البنت وجذبها إلى البراعم المزهرة العطرة.[٢]

حيث كانت تقتطفها بيرسيفونى ابنة ديميتر عندما اختطفها هاديس وتزوجها فى العالم السفلى.[٣] وكانت كل من ديميتر وبرسيفونى يضعان أكاليلاً من زهور النرجس.[٤]

رأى الأوربيون فى العصور الوسطى أن قصة موت ناركسوس رمزاً للفناء فزهرة النرجس تنمو فى الصباح ثم سرعان ما تذبل فهى رمز لزهو الإنسان الذى سرعان ما يختفى ويذبل مع الأيام.[٥]

وزهرة الزنبق κρίνον وهذه الزهرة رمز لقوة الشخصية ويقال فى لغة الزهور أن سيف الزنبق يقطع المياه الصافية وربما ذلك يرجع لتشابه أوراقها مع السيف.[٦]

تتميز هذه القصيدة برشاقة التعبير وجمال الصورة والمقارنة بين زهور البستان وبين نضارة زينوفيلا فإن ولع ملياجروس بالزهور ومقارنة محظياته بها ظاهرة مميزة لشعره.[٧]

ولكن لم يكتفى الشعراء بوصف فتياتهم بالزهور المختلفة إلا أنه تكرر ذلك مع الفتيان الحسان حيث إنتشر هذا النوع من الحب فى العصر الهللينستى ووجد فيه الشعراء مجالاً للتطرق إليه مثلما جاء فى هذه القصيدة لملياجروس:

Λευκανθὴς Κλεόβουλος, ὁ δ᾽ ἀντία τοῦδε μελίχρους
Σώπολις, οἱ δισσοὶ Κύπριδος ἀνθοφόροι.
τοὔνεκά μοι παίδων ἔπεται πόθος, οἱ γὰρ Ἔρωτες
πλέξαι καὶ λευκοῦ φασί με καὶ μέλανος.

Meleager XCVIII = A. P. XII. 165.[8]

---

(١) النرجس νάρκισσος وتعود هذه الزهرة فى الأساطير اليونانية إلى الفتى الجميل νάρκισσον ابن إله النهر كفيسوس *Cephisus* والحوريه ليريوبى *Leiriope* كان ناركسوس فتى جميل ومحط أنظار الجميع وكان يعلم ذلك ولكنه لم يستجب لأحد من معجبه ووقعت فى حبه الحورية إكو ولكنه رفض حبها فطلبت مساعدة أفروديتى مما جعل الشاب يقع فى حب صورته المنعكسة على سطح الماء حتى وهن ومات وتحول جثمانه إلى زهرة النرجس زهرة جميلة مظهرها يعبر عن الحزن تنمو على ضفاف البحيرات والغدران.

Guerber, *The Myths of Greece & Rome*, London, 1958, p. 98.

(2) Kerenyi, *the Gods of the Greeks,* Thames and Hudson, 1988, p. 232.

(3) J. Bobby, *A contemplation upon Flowers: Garden Plants in Myth and Literature*, Timber Press, 1999, p. 113, 167.

(٤) واستخرج قديماً من النرجس نوع من الزيوت استخدم فى الأغراض الطبية كعلاج لبعض الأمراض ودهان مُسكن للآلام.
Graves, *the Greek Myths*, p. 288.

(٥) عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٨، ص ١٠٣.

(6) J. Bobby, *A contemplation upon Flowers*, p. 362.

(٧) حمدى إبراهيم، الأدب السكندرى، ص ٢٤٧ .

(8) Gow/ Page, vol. I, p. 243.

"كليوبولوس الزهرة البيضاء على العكس من سوبوليس ذو البشرة العسلية، كلاهما حاملان زهور أفروديتى، من هنا جاء أشتياقى للغلمان لذلك قالت آلهة الحب سوف نجدل من الأبيض والأسود".

توضح هذه القصيدة غرام مليأجروس بالغلمان سواء لديهم البشرة السمراء أو البشرة البيضاء وربما تأثر مليأجروس فى حديثه عن التنوع فى إختيار لون بشرة المحبوب من الشاعر أسكليبياديس الذى تطرق إلى هذا الموضوع من قبل.(١)

واستخدام الشاعر التناقض فى الألوان ليدل على إختلاف لون البشرة حيث جاء Κλεόβουλος فى السطر الأول يسبقه البدل الخاصة به Σώπολις والذى أشار إلى لون بشرته السمراء عن طريق μελίχρους فى نهاية نفس البيت، وكرر ذلك الإختلاف فى البيت الأخير عندما ذكر λευκοῦ καὶ μέλανος أى الأبيض والأسود.

كلمة πόθος فى السطر الثالث تحتوى على صورتين للتورية فهى ليس فقط تعنى الرغبة ولكن أيضاً تشير إلى شكل الإكليل المجدول ونوع الزهور التى صنع منها فهو صنع من زهور تشمل فاتحة وداكنة اللون.(٢)

فى السطر الثانى Κύπριδος ἀνθοφόροι والتى تعنى أنهم يحملون زهور الحب أو أنهم كهنة أفروديتى(٣)، وهذا تفسير لقيام آلهة الحب نفسها بالجدل πλέξαι ويتكون ἀνθοφόροι من الكلمة ἄνθος (زهرة) مع الكلمة φορός حامل الشئ.

ἀνθοφόροι(٤) وهذه الكلمة التى تعنى حاملون الزهور جاءت كتلميح للزهور التى ذكرت فى مقدمة القصيدة وتأكيداً للفعل πλέξαι الذى يعنى سوف أجدل كما أنها تأتى كسبب لذكر πόθος الرغبة أو الإشتياق وتعطى ثلاثة تلميحات الأول وهو أنها تعطى معنى الرغبة والثانى يشير إلى نوع الإكليل والذى يسمى إكليل الرغبة أو الإشتياق أما الثالث يشير إلى الزهور ونجد كلمة ἔπεται التى تعطى معنى التناقض وضعت لتكون مكملة للأنسجام المتساوى بين الإثنان الأبيض والأسود وذكر كلمات مثل الزهور والأكاليل تعطى تلميحات ضرورية للإستعارات القوية مثل Λευκανθὴς والتى أوضحت صور رئيسية فى القصيدة وهى لون الزهرة التى وصف بها بشرة الغلام.(٥)

فجاءت الزهور فى هذه القصيدة تحمل شكلين وهما:

فى مقدمة القصيدة Λευκανθὴς الزهرة البيضاء لوصف الغلام. وفى نهاية السطر الثانى ἀνθοφόροι حاملون الزهور إشارة إلى الحب.

---

(1) Asclepdes V = A. P. V. 210.; Asclepiades XXIV = A. P. XII. 163.

(2) Kathryn Gutzwiller, *Meleager's Garland*, p. 195.

(3) Gow/ Page, vol. II, P. 660.

(٤) ذكر مليأجروس هذا المصطلح فى قصيدة أخرى وهى A. P. XII. 256 .

(5) Dorsey. D. F, Meleager's Epigrammatic Technique, Michigan, 1967, p. 358–360.

الخاتمة:

إن العصر الهللينستى واصل نهج العصر الهلينى فى مجال الإبجراما حيث أبدى شعراء العصر الهللينستى تفوقاً ملحوظاً وكان تعلقهم بالإبجراما يرجع إلى أنها كانت أكثر من غيرها ملاءمة لروح العصر الذى يعيشون فيه ووجدوا فيها أسهل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وتجاربهم الذاتية والمطالب التى إستلزمتها حياتهم.

وفطن الأدباء منذ العصور الأولى الأدبية إلى لغة الزهور وما لها من معان إبتدعها خيال الشعراء وتعلق بها المحبون على مر السنين، وهى فى الشعر والأدب تستخدم عادة لرسم صور جميلة فى عقولنا فمن أجمل قصائد الشعر هى التى تحتوى على الزهور فتكون محبوبة للجميع وأستخدم الشعراء صور الزهور فى قصائدهم للتعبير عن أفضل المعانى وأجملها التى تحمل معنى البهجة والأمل فكل زهرة تحمل روح فى الطبيعة.

وحمل الشعراء فى قصائدهم فكرة أن الزهرة والمرأة صورتان لحسن وجمال الطبيعة الخلابة وكثيراً ما يربط الشعراء بين الحبيبة والزهرة بل ويقارن جمالها بجمال الزهور فكانت الحبيبة دائماً هى زهرة العاشق، مثلما تحدث أسكليبياديس عن ديديمى ومليأجروس عن زينوفيلا، كما لجأ الشعراء أيضاً إلى الزهور لمواساتهم عند فراق الأحباء حيث تحمل لهم ذكراهم وتشاطرهم آلام وجرح الفراق.

ونتج عن ذلك أن أصبحت الزهور متصلة بالشعراء إتصالاً وثيقاً فهى مصدر إلهامهم وربط الشعراء بين جمال الورود وجمال المرأة فخلعوا على المحبوبة صفات الزهور فالزهرة النضرة بجمالها الهادئ الرقيق ترسم على الشفاه إبتسامة رضاء لهذا الجمال الإلهى.

السيد مصطفى عجاج

حاتم محمد ياسين

الشيماء أحمد خليل يوسف